

تمثلات الربيع العربي في رواية (أين المفرد) ل (خولة حمدي)  
قراءة سوسيو نصية

**Representations of the Arab Spring in Khawla Hamdi's  
novel (Where toescape )  
-A socio-textual reading**

\*أمال بن جامع<sup>1</sup>، عثمان رواق<sup>2</sup>

**Amel Benjama<sup>1</sup>, Othmane Rouag<sup>2</sup>**

مخبر التراث الأدبي الجزائري الرسمي والهامشي جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة الجزائر

Université 20 Aout 1955 Skikda Algeria

2 rouag.othmane@gmail.com 1.amelbendjama23@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/06/02	تاريخ القبول: 2021/05/22	تاريخ الإرسال: 2020/11/05
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

لطالما شكلت الثورة الشاغل الذي يسكن الرواية ويؤثت فضاءها الروائي عند فعل التذكر ونزف الذاكرة، فقد شكلت أحداث الربيع العربي عنوانا مهما لمرحلة تاريخية جديدة، ومادة دسمة تستمد منها بعض الروايات المغاربية واقعيها المتخيلة، فرصدت أحداثها الواقع السياسي الرمادي الأسود وأثره البارز في إسالة المداد وتفجير حناجر الأدباء ممن حملوا هم القضية بالكلمات الراصدة لمختلف تلك الأحداث.

**الكلمات المفتاح:** الرواية، الثورة، الواقع عربي، الواقع سياسي.

**Abstract :**

Revolution has always been the concern that overlaps the novel and provides the narrative space when memory is activated and memory bleeds. The events of the Arab Spring constituted an important title for a new historical stage and a rich material from which certain Maghrebian novels derive their imagined realism,

Its events raised awareness of gray and black political reality and its prominent effect on the flow of water and blew the throats of writers who carried the cause with words that reflect the various events of those events.

\*أمال بن جامع: amelbendjama23@gmail.com

**Keywords :** novel, revolution, Arab Spring, political reality.



### تقديم:

شهدت الساحة العربية في العامين المنصرمين أحداثاً عاصفةً على الصعيد السياسي، هذا ما أفرز موجة ما يُعرف بالربيع العربي هذا الأخير الذي جاء نتيجة حراك الشارع العربي على شكل ثورات شعبية قوية ابتداءً من تونس عام (2010م)، هاته الانتفاضة الشعبية التي برز نورها على يد (محمد البوعزيزي) الذي أشعل نار الثورة التونسية بدءاً ثم انتشرت لتمس العديد من الدول في موجة تعتبر الأولى من نوعها على الساحة العربية.

يشكل الربيع العربي وثوراته مُنعطفًا مهمًا في تغيير الواقع العربي وموجة لظهور أعمال أدبية جديدة بخلة العصر؛ يؤكد (رولان بارت) أن: «الإنتاج الأدبي ليس انعكاسًا للواقع، بل انعكاس لانعكاس في المسافة القائمة بين الواقع وشكل انعكاسه يشمل جملة من العناصر المعقدة تتضامن وتنتج آثار أيديولوجية معينة، فالكاتب لا يكتب أيديولوجيًا بل يعكس شكلًا مباشر جملة تناقضات اجتماعية تحت تأثير أيديولوجية معينة»<sup>1</sup>

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل واقع الثورات العربية الحديثة فيما يُعرف بالربيع العربي في الرواية التونسية (رواية أين المفر) لدكتورة (حولة حمدي) أنموذجًا، تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على انعكاسات الثورة والثوار ضدّ النظام وواقع الفساد والظلم لهذا النظام الفاسد في الدول العربية، تونس كعينة وقعت فيها أحداث هاته الموجة، وكذا بوصف الرواية المرآة للتعبير عن محتوى هذا الواقع بكل أبعاده الاجتماعية والسياسية والثقافية.

اعتمدت الدراسة على إتباع المنهج السوسيوثقافي في عملية تحليل النص الروائي، وذلك لقدرة المنهج على كشف واستكناه انعكاسات الثورة على الشخصيات الروائية ورؤيتها لهذه الأحداث، كما أننا ندرك أنّ طبيعة الثورة وثيقة بطبيعة المجتمع وردّة فعله على مختلف هاته المتغيرات، وبالتالي فإنّ الاشتغال على آلية المنهج الاجتماعي والنفسي يُعين علينا كشف عوالم المجتمع ورصد الأبعاد النفسية على الشخصيات.

## 1- الرواية وثورة الربيع العربي:

تُعد الرواية ديوان عصرنا الحاضر أنسب فضاء للكتابة عن الأزمات والتقلبات التي جاش بها صدرُ الموطن العربي على شكل صرخات تُردّد أصداءها في ميادين الربيع العربي، القضية التي أضحت في مقدمة مشاغل كُتاب الرواية العربية المعاصرة، حيث قدمت لهم مادة ثرية وخصبةً فسطروا الكثير من الأعمال الأدبية التي تتحدث عن تلك الثورات وأحوال البلاد التي اندلعت بها هاته الثورات.

يُشير الروائي (الطاهر بن جلول) في حديثه عن الربيع العربي فيقول: «هذا الربيع العربي القادم في عزّ الشتاء لا مثيل له في التاريخ الحديث للعالم، إلا حد ما ثورة القرنفل في البرتغال (أبريل - نيسان 1974م)، حتى لحظة اندلاع هذه الحركات كانت الشعوب العربية معتادةً على تقبل بمصيرها وتخضع له مستسلمةً، شهدت المنطقة من حين لآخر بعض حركات التمرد والتي قمعت في كل مرة بقسوة، وقُضي على كل المعارضين، يشترك المغرب والمشرق في هذا.»<sup>2</sup> فشكلت بذلك أحداث الربيع العربي بؤرة الكتابة السردية ومرجعية الحكيم وتشكلاته؛ فطالما أثبتت الذاكرة أزمنة الرواية وفضاءاتها باستقراء المتن الروائي فتطالعنا تيمة الثورة كتيمة مهيمنة.

الرواية كجنس أدبي دائمة التغيير كونها «مُنفتحة على احتمالات لا تُحصى تفرزها الحياة الإنسانية، وترتبط باللحظات الفلسفية الفارقة والتغيرات الدراماتيكية في الاقتصاد والسياسة وانعكاساتها على الأوضاع الديمغرافية والنفسية للكتلة البشرية»<sup>3</sup>؛ -فالرواية- ومقارنة بباقي الأجناس الأدبية لها قدرتها على سرد مختلف الأحداث الحياتية الاجتماعية والسياسية وتاريخية وغيرها، نظرًا لما تمتلكه من قدرة على تصوير حياة المجتمعات ولما لها من قدرة على رصد ما شهده ربيع العالم العربي.

الربيع العربي أو ما بات يُعرف بثورات الربيع العربي مصطلح يُطلق على الأحداث التي جرت في المنطقة العربية وفجرها الشباب بدءًا بتونس أواخر عام (2010م ومطلع 2011م)، رافعين شعارات (ارحل)، (ثورتنا ثورة سلمية)، (الشعب يريد إسقاط النظام)؛ «فثورات الربيع العربي موجة احتجاجات عربية ثورية انطلقت من تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا، وشكلت

حالات احتجاج من دول عربية أخرى، كما هي أقرب إلى الحركات الجزئية منها إلى الخصائص الثورية الشاملة.<sup>4</sup>

يفتح موضوع الربيع العربي والرواية أفقاً جديدة في مجال الكتابة والدراسة، هذا ما يدفعنا لدراسة كل الجوانب المرتبطة بالشكل والمضمون، فموجة الربيع العربي كانت دافعاً مهنياً لكتابة نصوص روائية كما سيظل المحفز للكتابة مستقبلاً.

## 2- الثورة والشباب:

يرى الباحث (توفيق المدين) بأن: «القوة التي لعبت دور المحرك الرئيسي في هذه الثورة وفي قيادتها حتى سقوط الرئيس بن علي، هي الحركة الشبابية»<sup>5</sup>؛ إنَّ جيل الشباب الثوري وحده الحامل لراية الثورة العربية على فساد الحكم وطغيان الحكام، والشباب العربي كغيره من شباب العالم باحث عن هويته وأصالته، حامل لشعلة أجداده محافظ على روح الوطن؛ فالشباب هم الثورة والثورة هي الانعكاس الفعلي الواقعي لدور الشباب العربي على الساحة.

لطالما شكلت الثورة الشاغل الذي يسكن الرواية ويؤثث للفضاء الروائي عبر فعل التذکر ونزف الذاكرة، فالزمن هو سلطان الحكيم وسيده، وما النص الروائي إلا نتاج جمالي لزمن مُتحقق واقعيًا، فالثورة من المصطلحات التي تتصف بالغموض في الواقع ولا علاقة لها بالحركات السياسية من الناحية التاريخية، ولم تستخدم كلمة ثورة كمصطلح سياسي ثوري اجتماعي قائم بذاته بمعنى التغيير الجذري والانقلاب والتمرد وتغيير النظام الفاسد إلا في العصر الحديث. الثورة في معناها العام هي الخروج عن الوضع الراهن سواء إلى وضع أفضل أو أسوأ من الوضع القائم.

تعتبر رواية (أين المفر) من الأعمال الروائية التي رصدت مزية الثورة الشبابية في تونس، جسدت من خلالها الروائية (خولة حمدي) ثورة المرأة التونسية العربية والشباب الواعي الملتف حول وطنيته باحثاً عن الحرية والهوية والعدل والمساواة في ميدان التحرير بكل ما يحمله المجتمع من شرائح -متقنين، ثوار، كادحين، نساء، فقراء، أغنياء... إلخ- جميعهم يداً في يد لأجل قضيتهم الأم والقضاء على الفساد والانقلاب على النظام الفاسد وأتباعه من البلطجية.

فالشباب هم عصب التغيير السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي للأمم لما لديهم من طاقات جبارة للوصول لغايات ترضي طموحاتهم، يرفعون شعارات تُراخ فيها المعاني إلى

مقاصدهم ب: (الشعب يريد إسقاط النظام)؛ فالحكم للعامّة والشعب سيد الموقف في تقرير مصيره وصنع القرار السياسي، تردف سحر من خلال الرواية دفاعها عن القضية والثورة التونسية: «الثورة نجحت... لكن لا ينبغي للشعب أن يغفل لحظة واحدة فتسرق منه ثورته، الشارع يقف بالمرصاد للحكومة الجديدة إن لم تستجب للمطالب الشعبية وُجب تغييرها»<sup>6</sup>؛ ثار الشباب العربي ونزل للشوارع خلاصًا من البطالة التي سحقتهم، وقيم الفساد والرشوة مطالبين بحريتهم.

جاء الخطاب الثوري -موجة الربيع العربي- قويًا وعينًا للشعوب العربية أدخلها في مرحلة أولى هي الالتفات الوحدوي ضد هدف محدد معلن، عبرت عنه مفردة (الإسقاط) التي ولدت من لا وعي الشعب إلى الميادين العامة، بعدها رست معالم الموجة الثانية الأخطر لكشفها وتعريتها للوعي السياسي الضحل للمجتمعات العربية التي لم يكن لها يوم تفاعل مع النظام السياسي والتعددية الحزبية.

تتداخل الدلالات في امتزاج شعارات الحيز والكرامة من خلال الحرية واستعادة ملكية زمام القول والفعل، وبالتالي المصير، وأن نكون في الشارع فنمتلك الميدان هو أن نستعيد الوطن، الهوية، وحقنا في المواطنة، فالاعتصام والحراك في الميدان -الشارع- (ميدان رمزي) هو الحيز العام للنواة في المدينة، فهو بمثابة مواجهة لمختلف أيادي السلطة الفاسدة التي لا طالما سيطرت على الميدان وعلى الحيز العام، إنه تغيير للدلالة وميلاد تونس الخضراء الجديدة.

« لقد هزّم الجيل السابق، قبل أن يشهد لحظات تاريخية كنتك... » «لقد هرمنا، من أجل هذه اللحظة التاريخية»<sup>7</sup>؛ فقيام الشعب التونسي -ثورة الشباب- بانقلاب على نظام الحكم والرسالة الموجهة من تحت اللحاف، و(أمين) يجسد هذه الفئة التي لم يوافقوا الثورات يومًا فلوهم تنبض بالولاء لهذه القضية ودمائهم تتعطش لروح الفداء، (فأمين) ابن العائلة المرموقة والسياسية - ابن أحد كبار الدولة الفاسدة- يُشارك في الثورة ضد النظام سرًا، النظام الفاسد الذي يكون لوالده اليد في هذا الفساد فولده خاضع لهذا النظام وأتباعه، ترصد الروائية نهاية عائلة (أمين) التي تخسر كل شيء غير أن المناضل (أمين) يبقى مجاهدًا لأجل ما يؤمن به حتى يستشهد في نهاية الرواية بعد انضمامه لصفوف الجيش.

كما أصبحت الخيام ميداناً للتحرير ومقرّاً ومسكناً للشباب الثائر الذي يُطالب بحقوقه، فتكون الثورة شعبية والوعي الشعبي في ثورة الشباب التونسي - شباباً وشابات - بهذا يصبح الوعي معادلاً موضوعياً للثأر والانتقام وزدّ الاعتبار، وهذا ما رصدته الساردة في متن الرواية؛ « عرجتُ على شارع الحبيب بورقيبة، حيث لمحتُ أول ما لمحتُ خيام المعتصمين المنصوبة حديثاً قبالة المسرح البلدي». <sup>8</sup>

فالمكان ملك السلطة وأجهزتها الأمنية وإلا فما معنى منع التجمع إلا بالترخيص حتى التواجد والتصرف والقول لدى الشباب التونسي والاعتصام أمام مقرات السلطة وحق الإضراب عن الطعام لأيام، كل هذا تحدي لهذا النظام الفاسد ورفع مختلف تلك الشعارات التي أطلقت في الساحات العربية خاصة شعار (ارحل ارحل، ديقاج) لأجل استرداد حق الوجود من خلال استرجاع ملكية المكان العام الذي صادته السلطة الفاسدة.

فالرواية معروفة إلا أنّ دلالاتها أعنى بكثير من مجرد حادثة احتجاج فردي، لم تكن التحديات التي تواجه الشباب التونسي تقتصر على سقوط النظام - الرئيس المخلوع وأتباعه - بل إنّ واجبه الحفاظ على معنى هذه الثورة، ( الثورة نجحت.. لكن لا ينبغي للشعب أن يغفل لحظة واحدة، فتسرق منه ثورته)؛ فالرواية ترفض حكم الجيش والانقلاب على الشعب، فيقف الشباب وجميع شرائح المجتمع التونسي في ثورة الجديدة.

تحدّد الثورة الشبابية وتبرز ضمن إطار معرفي رؤيوي؛ أي أنّ الروائي في بناء الخطاب الروائي يكتب التاريخ تخيلياً أو تأويلياً وهنا ليس دفاعاً عن الماضي أو تشبُّهاً به حد التقديس أو حتى سخطاً عليه بتشكيل التاريخ واقعياً، وتشكيل الواقع تاريخياً استجابة لجدل علاقة الحضور والغياب بين الآنا والآخر، فالخطاب الروائي المغاربي التونسي خاصة وليد تحولات الواقع، واقع ما بعد الثورة التونسية كما جسده الرواية.

تميزت رواية (أين المفر) بقدرتها على مزج الثورة قبل وبعد بين حلم الخلاص من الاستبداد وفساد السلطة، فكانت الثورة الشبابية نقطة تحول جسدها شخصية (أيمن) القائد الذي يؤمن بمبدأ التحول والتعبير لأجل اللحظة التاريخية، فإنّ الشباب التونسي المفجر للثورة كان مُستعداً للتحدي والتضحية الجماعية وحتى الموت لأجل نيل مطالبهم - نيل الحرية.

## 3- مطلب الحرية والكرامة:

شكل موضوع الحرية والمطالبة بالكرامة الإنسانية مطلبًا ميّز الرواية العربية الحديثة منذ بداياتها الأولى إلى اليوم، هذا ما جعل لرواد الرواية الدور الفعال في الالتزام ونقل القضايا الإنسانية على الساحة في نصوصهم؛ فقد «تناولت الرواية العربية مسألة الحرية في مواجهتها الاستبداد في فترتي النظام الاستعماري والحكم الوطني بمختلف تلويناتها الإيديولوجية، بحيث يمكن القول أنه لا تكاد تخلو رواية عربية من عرض أنواع الاضطهاد والتعذيب التي مورست على الإنسان العربي وأصناف الصمود التي تحدى بها ذلك الاضطهاد، من أجل تحقيق حريته وصموده»<sup>10</sup>، هذا ما جسده روايات الربيع العربي كتيمة واضحة الملامح والأسس، وهذا ما نجده في رواية (أين المفر) التي رصدت الواقع التونسي قبل وبعد الثورة بالصوت الأنثوي الذي كان وقعه الخاص المرتبط بالحرية والبحث عن الهوية والكرامة وتحقيق العدالة لدى التونسيين، فكان الجهر بصوت عالٍ لتكسير قيود النظام الفاسد والوقوف بوجه الظلم لتحقيق الحرية والكرامة الهدف والمطلب الأساسي.

فشكل الشباب المحرك الفعلي لهاته الثورة قادوا عملية التعبئة والحشد من خلال امتلاكهم ناصية الحراك، وهذا ما جسده (أمين) عينة مثالية هو ورفقائه من الشباب والشابات في مقبل العمر هم ربيع هذا الوطن لتحقيق الحرية والكرامة، رصدنا من خلال الرواية البوح الصريح لاعتصام هؤلاء الشباب وهدفهم، « هل يمكنني أن أسأل .. ما الذي تتظاهر من أجله بالضبط؟ رمقها في دهشة، ثم قال بلهجة جادة: الحرية، الكرامة، العدالة الاجتماعية!»<sup>11</sup>، ف(أمين) صورة الشباب التونسي الحامل لمبادئه وأحلامه وطموحاته وكرامته وهويته.

رصدت الرواية من خلال (ليلي) هي الأخرى التي تُنشد مقاطع من النشيد الوطني التونسي الذي أبدع أبياته الشاعر (أبو القاسم الشابي) مادحًا من خلاله بدور الشباب التونسي ويثني عليه في تحقيق مطالبه وأهدافه، وأهم تلك المطالب الحرية والكرامة تجسد ذلك في متن الرواية من خلال المقاطع التالية:

(إِذَا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الْحَيَاةَ	فلا بُدَّ أن يَسْتَجِيبَ القَدْرَ.
وَ لَا بُدَّ لِلَّيْلِ أن يَجْلِي	وَ لَا بُدَّ لِلقَيْدِ أن يَنكسر
وَ مَنْ لَمْ يُعَانِقْهُ شَوْقُ الْحَيَاةِ	تبخّر في جَوْهَا وَاندر.

فَوَيْلٌ لِمَنْ لَمْ تَشَقِّهِ الْحَيَاةُ مِنْ صَفْعَةِ الْعَدَمِ الْمُنتَصِرِ.<sup>12</sup>

ترصد الرواية عبر شخصية (ليلي) المتصارعة الباحثة عن هويتها الضائعة، فكان لها الوقوف عند هاته المقاطع بكل شغف لترصد باهتمام ما أراد الشابي تمريره من خلالها فالشعب هو سيد الموقف وهو المحرك والمحرر الفعلي لهذا الواقع.

« موطني.. موطني! الشباب لن يكلّ همّه أن يستقلّ أو يببّد، نستقي من الرّدى ولن نكون للعدى كالعبيد، كالعبيد»<sup>13</sup>، تستقل هذه المقاطع لتتوسط الصفحة بخط غليظ داخل متن الرواية دعوة صريحة بأن الشباب هم الجزء الملتحم بالبناء الثوري، هو جيل الشباب الثوري المتحضر هو الحامل لراية الثورة وحشد الجماهير، هو صوت التجديد، صوت الحرية والكرامة الحامل لواء راية الوطن الأخضر.

سعت الروائية (خولة حمدي) لصب مقاطع النشيد الوطني في متن روايتها دعوة صريحة لرصد حالة المجتمع التونسي في فترة ما بعد الثورة، بعد كسر طابوهات الفساد السياسي، فشكّلت شخصية ليلي المتضاربة الباحثة عن هويتها وانتمائها فهي كهذا الوطن وشبابه، تلك اللحظة التي أثارت فيها غرائز الانتماء الوطني والانتماء والهوية.

فيرصد صريح فعلي لرفع مستوى السياسي لدى الشباب بعد الثورة، فقد غدت السياسة الاهتمام الأول لدى الجميع لأجل استعادة الحرية؛ « لقد سيطر الخوف لعقود، وعقدت الألسن، ومن تجرأ على الكلام هُجر أو سجن.. لذلك ما إن استعيدت الحرّية حتّى عمّت الفوضى! الكل أصبح بين يوم وليلة مُحللاً مخضرمًا يمكنه تقييم الوضع»<sup>14</sup>

يحضر الانتماء التونسي من خلال شخصية (ليلي) دومًا على الرغم انتمائها التونسي الحديث، فلم تستحضر ذكورها الكثير عن وطنها إلا من خلال مقاطع النشيد الوطني التي كانت تُردّد في المظاهرات، فكان التعبير عن ذلك الانتماء بمختلف الصور وقوفًا عند الأناشيد والأغاني التي تُجسد الانتماء الوطني؛ « بينما عبرت (نجاة) عن ثورتها بأغنية (أمال المثلوي) التونسية: أنا حرّ وكلمتي حرّة!»<sup>15</sup>، فكانت الثورة التونسية ثورة الخبز والحرية، كان لحضور المرأة التونسية في الرواية عناء حضور المرأة الواقعية، المتعلمة والثقافة والملتزمة في جميع الأعمال، يأتي هذا الحضور متجاوزًا وحضور الرجل فكانت (ليلي) أيقونة الالتزام بالمبادئ في وقت يُصبح التمسك بالمبادئ كالقبض على الجمر، كان كل من ليلي وأمين وكدا (فراس) والشخصيات الشبابية داخل المتن



الروائي عينه إيجابية لمنظور الشباب لثورات العربية والربيع العربي؛ والواقع الثوري والتأثر الواضح والتحليل العميق لثورة الياسمين وما يتفق ورؤية ومنظور الشباب ما بعد الثورة.

#### 4- الثورة والإعلام:

شكل الشباب المحرك الفعلي للثورة فقد قادوا عملية التعبئة والنشر من خلال امتلاكهم تقنية الإيصال والإعلام الاجتماعي وكسر الطابوهات من كل الرقابات التقليدية التابعة للنظام الفاسد، فتعتبر حرية الإعلام من أهم المؤثرات الديمقراطية لثورة الربيع العربي سواء ذلك الإعلام المفبرك التابع للنظام الفاسد الاستبدادي أو الإعلام العالمي الحر والذي يصور الواقع ومختلف الأحداث كما هي مجسدة دون فيكرة.

كان لحضور الإعلام في الرواية مجسداً من خلال الإذاعة تقول الساردة في متن رواية (أين المفر): (انتبهت على الفور إلى صوت الراديو المرتفع، ينقل نقاشاً سياسياً حاداً أو شهادات عيان عن ممارسات النظام السابق المروع...) <sup>16</sup>، أصبحت وسائل الإعلام بعد الثورة ترصد الخطابات ودعوة جهراً للخروج عن المسكوت عنه فلم تعد السياسة شيء مقدس يهوي بالشعب بل أصبح بؤرة وخطاب الجميع.

فلم تغفل الرواية العربية والرواية المغاربية دور الإعلام في ثورة الربيع العربي، فكانت مختلف وسائل الإعلام شاهدة على هذا الصرح من إذاعة، تلفاز، فالجرائد التي تابعت ورصدت الأوضاع ما بعد الثورة للمجتمعات، فأضحت صوتاً-الجرائد- لهاته الموجة الربيعية كانت الصحف من خلال الرواية صوت الشعب فتابعت المجالات حالة المعتصمين وأهدافها ومطالبهم فكانت صوتهم المعبر داخل هذا الصرح، كما كانت بالمقابل فاضحة لبقايا النظام الفاسد نستشف ذلك من خلال متن الرواية: «لقد ورد اسمه في قوائم رجال الأعمال الفاسدين المرفوعة للهيئة الوطنية لمكافحة الفساد» <sup>17</sup>

فبعد الثورة تزايد الوعي لدى الشعب التونسي فغدت السياسة الاهتمام الأول للجميع، فظهرت وازدهرت العديد من الأدوات والوسائل لأجل رفع المستوى السياسي للوعي.

كما رصد التلفاز هو الآخر خروجه عن قيود النظام الفاسد، «لقد عقد الوزير الأول ندوة صحفية منذ قليل وأعلن عن الشروع في تطبيق قانون المحاسبة... ألقى القبض على عشرات رجال الأعمال الفاسدين اليوم، والناس يحتفلون في الشوارع» <sup>18</sup>، فكان الإعلام الثوري بعد الثورة

راصدًا مفصّلًا وبكل وضوح عن مختلف الأوضاع التي تعيشها البلاد بكل صدق ومصداقية دون ضغوط أو قيد من السلطة الفاسدة.

### 5- واقعية الصورة الثورية:

تستخدم الروائية موضوعيًا مفردات واقعية للثورة وإفرازاتها تسقطها على الواقع المتخيل الإنساني والاجتماعي والديني في الرواية (أين المفر)، تقوم الرواية على أحادية الصوت وهو صوت الروائي الأنا رغم تعدد الشخصيات داخل متن الرواية، هذا الصوت الفردي يُعبر عن الهم الجماعي المشترك الذي عان منه التونسيون تحت وطأة النظام الفاسد، فرصدت الروائية بذلك التجربة الثورية في تونس بعد الثورة من خلال إبراز وعرض الخلل الدفين للثورة التي تعني الهدم الكلي لما سبق والاستعداد لمرحلة جديدة.

تعتمد الروائية على وصف الظاهرة في تحليلها للحالة الثورية في وطنها؛ «كانت كمائن الحراسة متمركزة عند المحاور الرئيسية، عجالات مطاطية وبراميل مليئة بورق ومطاط محترقة، مازال يتصاعد منها دخان كريحه ذو رائحة نفاذة، شاهدًا على أحداث ليلة أمس»<sup>19</sup>، صورت عينة من العديد من المشاهد اليومية لخروج المتظاهرين وقمع القوات للمعتصمين، وتلك المشاهد شاهدة على حراكهم وثورتهم.

تجسد الرواية الوضع الذي آل إليه أتباع النظام وقرار حبسهم خلف قضبان السجن، وهذا ما نلاحظه داخل الرواية من خلال والد (ليلي) وخالها اللذان يُعتبران أحد رجال النظام الفاسد ويقاين النظام التونسي لأنّ لهم اليد في الخراب والظلم والفساد وأكل أموال الشعب، نرصد ذلك على لسان الساردة في متن الرواية: «تحدثين عن الثورة وكأنك تعرفين شيئًا!... ولأمثالك من الأثرياء.. والدك يُحاسب بتهمة فساد.. وهذا سبب كافٍ لنقمتك على الثورة»<sup>20</sup>، فمند بداية السرد تصور لنا حالت والد (ليلي) الدبلوماسي السابق ليُحكم عليه بالسجن لعامين وغرامة مالية، فكيف لوطنها التائر أن يصالح خونة الماضي فيحاسبهم ويفرض على كل من سرق ونهب أن يدفع الثمن.

تصور (خولة حمدي) حراك الربيع العربي في تونس وطن عان من جبروت الحاكم الفاسد، «ظهرت فجأة مجموعة من الشباب مندفعين من الرقاق الجاني، انخرطوا في المسيرة، مروا بسرعة فائقة»<sup>21</sup>

شكّلت لحظة سقوط النظام لدى الشعب بداية الانفراج وتحقيق المبتغى المنشود، تحقيق الحرية والكرامة، بهذا فقد صاغت (خولة حمدي) أحداث هذه الرواية من خلال ضمير المتكلم الذي يُجِيل على شخصية ليلي بوصفها رواية مشاركة في مجريات الأحداث بلغة مفعمة بالرموز والمشاعر الإنسانية، لجأت الروائية إلى توظيف أسلوب الاستفهام الذي تردد بقوة في المتن الروائي نتيجة الصراع الذي تعيشه.

يصل الأمر بالشباب للتضحية بنفسه لأجل تحقيق مطالبهم فيكون الصوت الفردي تحقيقاً للمطالب الجماعية، وهذا ما جاء في متن الرواية غير شخصية منتصر أحد شباب الاعتصام الذي لم يكن له من أسننه نصيب، شخصية فاقدة للأمل للواقع الذي يعيشه فيُدم على الانتحار في صورة مرعبة جاء ذلك جراء فرض قوات الأمن فض الاعتصام وإزالة الخيام وضرب المعتصمين وإجبارهم على المغادرة.

الشعور بالخذلان وعدم تحقيق الأهداف والواقع المزري الذي تعيشه مختلف الفئات الفقيرة نتيجة الحالة الاجتماعية وعدم توفر لقمة العيش، رغم الشهادات المتحصل عليها من طرف الجامعات للشباب.

« فجأة ألقى بنفسه، لا إلى الأسفل، ولكن إلى الإمام ليعانق جسده أسلاك الكهراء المعلقة، ذات التيار العالي! أمام عشرات المتفرجين، اشتعلت النار في جسد منتصر، مثل قطعة حطب، لا شأن لها، تطاير الشرر في الهواء وتصاعد الدخان أسود مع احتراق قماش قميصه أولاً، ثم انبعثت رائحة شواء كريهة»<sup>22</sup>، تعيد الرواية سم الملامح الأولى لاندلاع شرارة الربيع العربي، بتناس مع حادثة الشهيد "محمد البوعزيزي" الذي أضرم النار في جسده ووضع حد لحياته كما هو حال منتصر.

## 6 خاتمة:

كان لحضور موضوع الربيع العربي في المنجز الروائي بعد سنة (2011م) حاضرًا وبقوة في الرواية العربية على العموم والمغاربية خاصة الرواية التونسية، بطريقة مباشرة أو ترميزًا عبر اللحاف لسائل مشقّرة

- تبيين من خلال رواية (أين المفر) ل(خولة حمدي) مجموعة من التيمات التي كانت من المحظورات على الساحة الأدبية، فحضرت في متن الرواية بقوة

راصدة معالم الثورة والواقع بعد الثورة فمنها ما ارتبط بالوضع السياسي والاجتماعي الذي أسهم في نشوب موجة هذا الربيع العربي ومنها ما ارتبط بمطالب الشعوب كالحرية والكرامة والديمقراطية.

- حقق المشهد الإبداعي للرواية على وجه الخصوص فضاءً خصباً للحديث عن الثورة فجعلت الثورات العربية للحضور الأدبي بكل أجناسه نكهة جديدة.

- اعتمدت الروائية على وصف الظاهرة في تحليلها للحالة الثورية في وطنها، واعتمدت ضمير المتكلم الفردي الذي كان حاملاً لواء الرسالة الجماعية للوطن. قدمت الرواية الثورية رؤية بانورامية شاملة مزجت بين الواقعي والمتخيل وأضفت عليهما التجربة الإنسانية الخاصة بشكل مشهد بناء على معالجة الروائي لها، فامتألت بأحداث تاريخية وأسماء للأمكنة والشهداء ويظهر ذلك جلياً في رواية أين المفر.

- عالجت الرواية الظاهرة الثورية بشكل وصفي ركزت الروائية على مرحلة ما قبل السقوط لوصف حجم الظلم وفساد السلطة، ووصف الحالة والمشهد الثوري لحظة سقوط النظام، فهي عملية كشف لمظاهر الثورة الشبابية انصب الحديث عن الجانب الاجتماعي وتأثير الثورة.

#### هوامش:

<sup>1</sup> فيصل دراج: الأدب والايديولوجيا، مجلة الطريق، ع5، تشرين الأول، أكتوبر 1979م، ص، 45.

<sup>2</sup> الطاهر بن جلول: الشرارة انتفاضات في البلدان العربية، ترجمة: حسين عمر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2012م، ص، 29.

<sup>3</sup> لطيفة الدليمي: أصوات الرواية، حوارات مع نخبة من الروائيات والروائيين، كتاب دبي الثقافية، الاصدار 128، دار الصدى، دبي، ط1، يونيو، 2015م، ص، 07.

<sup>4</sup> موسى ريم: ثورات الربيع العربي ومستقبل التغيير السياسي، مؤتمر فيلا دفا، السابع عشر، سكلية الآداب، جامعة فيلادفيا، الأردن، 2013م، ص، 33.

- <sup>5</sup> توفيق المدني: ربيع الثورات الديمقراطية العربية، الربيع العربي... إلى أين؟ أفق جديدة للتغيير الديمقراطي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، أبريل 2012م، ص، 53-80.
- <sup>6</sup> د. حولة حمدي: أين المفر، كيان للنشر والتوزيع، الجيزة، 2017، ص، 101.
- <sup>7</sup> أين المفر، ص، 283
- <sup>8</sup> أين المفر، ص، 280.
- <sup>9</sup> أين المفر، ص، 101.
- <sup>10</sup> سيف المري: أجراس الخوف، كتاب دبي الثقافية، الاصدار 74، دار الصدى، ط1، يناير 2013م، ص، 193-194.
- <sup>11</sup> أين المفر، ص، 105.
- <sup>12</sup> أين المفر، ص، 145.
- <sup>13</sup> أين المفر، ص، 189.
- <sup>14</sup> أين المفر، ص، 175.
- <sup>15</sup> أين المفر، ص، 341.
- <sup>16</sup> أين المفر، ص، 39.
- <sup>17</sup> أين المفر، ص، 158.
- <sup>18</sup> أين المفر، ص، 269.
- <sup>19</sup> أين المفر، ص، 73.
- <sup>20</sup> أين المفر، ص، 102.
- <sup>21</sup> أين المفر، ص، 102.
- <sup>22</sup> أين المفر، ص، 317-318.

. -